بلاغة المعاني الجرجانيّة عند الباحث محمد العمري

The eloquence of meanings by Al-Jurjani according to the researcher Muhammad Al-Omari

أ. فضلي لعجال*

الرّقم التعريفي للمقال: DOI: 021-001-017-1111/10.33705

تاريخ الاستلام: 2024.04.15 تاريخ القبـول: 2024.05.19 تاريخ النشر: جوان 2024

ملخّص: يهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم المعاني في مذهب عبد القاهر الجرجاني على ضوء الفكر البلاغي لمحمد العمري، وهو توضيح يُخرج جدليَّة اللفظ والمعنى من الغموض إلى الجلاء، ويجعل جوهر البلاغة عند الجرجاني في الخصائص التي يحدثها النظم في المعاني وليس في المعاني نفسها، وقد وجدنا أن قراءة العمري لبلاغة المعاني الجرجانية قراءةٌ تجتهدُ في تحصيل نظرة كاملة، واستخلاص النسق العام الذي أساسه السؤال البلاغي عند الجرجاني، وتشرح بدقَّة علاقة التخييل بالتداول فيها، وتُبَرّرُ رفض العمري للتقسيم الثلاثي المشهور للبلاغة (معاني، بيان، بديع) ونزوعه إلى تقسيم ثنائي هو (شعرية، خطابة) اللذيْن يمثلان البابين الحقيقين في علم البلاغة.

كلمات مفتاحيّة: المعاني؛ الشعريّة؛ الحجاج؛ البلاغة؛ الخطابة.

Abstract: This research clarifies the concept of meanings in Al-Jurjani's rhetoric according to Muhammad Al-Omari. It is an explanation that places the core of rhetoric in the characteristics and additions that the systems bring about, not in the meanings. We found that Al-Omari's study extracts the general pattern based on Al-Jurjani's rhetorical question, clarifies the relation between imagination and pragmatics in it, and justifies Al-Omari's refusal to divide rhetoric into (statement-meanings-wonderful).

Keywords: Meanings ; poetics; pilgrimage ; rhetoric ; oratory.

*- جامعة عمار ثليجي بالأغواط –الجزائر، مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات.

البريد الإلكتروني: l.fadli@lagh-univ.dz (المؤلف المرسل).

1.مقدّمة: كانت قضيّة اللفظ والمعنى من أبرز المعاركِ التي تطاحنَ فيها النُّقاد وأهمّ السّجالات التي ترادَّ فيها البلاغيون، وكان أكثرُ ذلك قبل الجرجاني[1] كما هو مشهور-وكان مدارُ الخلاف فيها قائما حول أيّهما تقوم عليه صنعة الكلام، وأيّهما تُنسب إليه المزية والانسجام، وساد ذلك في وقتٍ ليس فيه اتفاق على مفاهيم كل المصطلحات النقدية والبلاغية، بدايةً مع الجاحظ ومرورا بابن طباطبا ثم أبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وغيرهم، وقد كان في مساقات ذلك الاختلاف ما يُلْمِح إلى عِلّتهِ دون أن يُقبض عليه في فكرة واضحة، فهل كان أكبر سبب لتلك المعارك هو وقوع اللبس حقا في المفاهيم وعدم الاتفاق على المصطلحات المستعملة داخل التنظير البلاغي؟ أم أنَّ الأمر يصل إلى سبب أكبر حينما نذكرُ أنّ البلاغيين لم يستقروا حتى على تعريف واحد للبلاغة نفسها، يُثبِتُ قبضهم على حقيقة راسخة وجوهر واحد؟ على هذا سننطلق من قراءة محمد العمري[2] للبلاغة عند الجرجاني، ويكون هدفنا هو تبيان دور عبد القاهر في حل هذا النزاع من جهة، وتبيان علاقة هذا الحل بالتنظير لبلاغة خاصة بالجرجاني من جهة أخرى، حيث تتخذ البلاغة عنده من المعاني أساسًا لها وجوهرًا فيها ترتَدُّ إليه وتُقاس عليه، ثم ماذا يمكن أن يُحسب لهذه البلاغة عند صاحبها خصوصا، وما يمكن أن يُحسب عليها أو لها من جهة التنظير للبلاغة عموما. ومن أجل ما سبق جاءت هذه الورقة في منهجها مقاربة ابستيمولوجية، تشرح حلقة من مراحل التطور في النظرية البلاغية العربية، وتُحلِّلها لتُظهر ما تنماز به عن غيرها وما أثرت فيه على ما بعدها.

2.مشكلة الاصطلاح: كان المشتغلون بالنقد والبلاغة قبل عبد القاهر الجرجاني يميلون إلى اللفظ في تقدير بلاغة الخطاب على حساب المعنى إلا ما ندر، وكان سبب هذا الميل هو التباسٌ واقعٌ في دلالة المصطلحين، واضطراب في تقدير المسافة بينهما وحقيقة الوعاء الجامع لهما، حتى أتى هو بتصور جديد وشرح فريد لجدلية اللفظ والمعنى، يَفصِلُ به في القضية ويخرجها من ضيق الحيرة والعَماء إلى رحابة اليقينِ والجلاء، وذلك حينما بيّن أن البلاغة ليست في أي منهما منفصلين، بل في النظم الذي يجمعهما على قوانينه وأغراضه ويسهم في توضيح دلالتي اللفظ والمعنى على وجه يزيل التداخل والالتباس.[3]

رفض الجرجاني أن تكون المزية للفظ من حيث هو صوت ونغم ووزن ومجاز واستعارة، وجعل جوهر بلاغته هو المعاني التي في النفوس، وجعل اللفظ مجرد خادم لها، فكان واجبا عليه أن يجادل عن كون الكلام هو في المعنى كجوهر وليس في اللفظ كمظهر، إذ هما مرتبطان بالنظم ارتباطا يؤدّي إلى تَحوُّرِ أحدهما كلّما تَحَوَّر الثاني، وكان القصد باللفظ في هذا هو ما يدل على الأصوات والوحدات غير الدالة وليس الدلالة نفسها، وكان المَرومُ من المعنى هو الدلالة الدقيقة المنضبطة، التي تخص العبارة اللفظية وليس الموضوع والغرض والفكرة.[4]

وذكر عبد القاهر حججا كثيرة أثبتت أن ما أراده السابقون من كلمة "اللفظ"، هو ما يشير إليه اللفظ من المعنى وليس اللفظ ذاته، وأن العلّة في ربطهم لمحاسن الكلام بالألفاظ ليس من جهة أن لها أجود المعاني، بل من جهة الزيادات التي تُحدثها والخصائص التي تُضفيها، ولما كان الأمر على هذا الحال لم يُرَخِّصُوا لأنفسهم

إطلاق اسم المعاني على هذه الميزات والخصائص، ولولا ذلك لما كان هناك فرق بين المعنى الأصلي وبين ما يكون زيادة في المعنى وكيفية له وخصوصية فيه[5].

وقد وصل عبد القاهر في هذا المجال إلى أن ما يَفضُل به كلامٌ عن كلامٍ داخلٌ في دائرة المعاني وليس في اللفظ، وأن الأمر ليس متعلقا بما تسمعه الأذن بل بما يَنظُر إليه القلب ويجتهد فيه الفكر وتَعملُ فيه الرؤية ويراجعه العقل ويُستنجد فيه بكل قوة تُعين على صحة الفهم وعمقه[6] وقد فرى وشيجة هذه المشكلة وكشف قناعها وصار ممكنا أن يقال: إنّ أهل التدبر متواطئون على أن البلاغة إنما هي في سبيل دلالة الألفاظ على المعاني، وليس الألفاظ نفسها، أو في المزايا والزيادات التي يوقعها النظم على المعاني لا في أصول هذه المعاني نفسها.[7]

وقد لاحظ عبد الملك مرتاض في كتاب الدلائل أن الجرجاني يُصرُّ على الانتصار للمعنى، ويتبني فكرة تُشخِصُ النَّظمَ عليه وتدفع الفضيلة إليه، دون اللفظ والصوت وحدهما.. أما المعنى الذي لا تُنسب إليه البلاغة فهو ما يوجد في الذهن قبل أن يصير إلى لفظ مُعبِّر، وهو المادة الأولى من الأفكار والأغراض، وهو نفس المعنى الذي قصده الجاحظ والمعنى الذي تناط به البلاغة[8]، وللتوضيح فإن هناك معنى قبليا يسبق اللفظ هو ما يكون في أنفُسنا قبل أن نتكلم، ومعنى بَعديًّا يَعقُب اللفظ بعد أن يتشكل[9] مثلما نقابل المقصود بصورة المقصود، ومثله أن يكون المقصود (فلان فاسد السريرة) وتكون صورة المقصود في قولنا (فلان فلقة من قلب الشيطان) فيتشكل في ذهن المتلقي معنى غير المعنى الأول، قوامه صورة بيانية مركبة من تشبيه بليغ واستعارة، وهذا المعنى البَعدي هو مناط البلاغة عند الجاحظ خصوصا، وعند أكثر السابقين على الجرجاني عموما.

ثم إنّ مزية الجرجاني في هذا الباب أنه شرح فكرة الجاحظ شرحا فلسفيا دقيقا، مثّل لها بمثال ماديٍّ أبرزها شاخصة للعيان. وذلك في قوله: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه"[10] وليس الجرجاني هنا مبتدعا موقفا جديدا في هذه المسألة، وإنما هو مبتدع لسبيلٍ في نسب الفضيلة إلى المعاني عندما نقصد بها الدلالات المنضبطة للكلمات المسلوكة في عقد الكلام، وإثبات المزية للألفاظ عندما نريد بها الصورة التي تتجلى بها المعاني، أي دلالات الألفاظ وليس الألفاظ نفسها، وحلَّ بهذا معضلة اللفظ والمعنى.

3.بلاغة الجرجاني عند محمد العمري: ألّف الجرجاني كتابي (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، اللّذين صنعا منطَلقا لاتجاهٍ بلاغي هامّ ساد بعد القرن السادس الهجري، ثمّ إنّ هذا الاتجاه تزعّمه السكاكيُّ[11] واستفاد منه في إخراجٍ جديدٍ للبلاغة العربية، ثم صار هذا الإخراج اتجاها يؤثر على العقليّة العربية الأدبيّة والنَّقدية بجمود جعل البلاغة العربية تُرمى بالتّخلّف وعدم الفاعليَّة، فهل يمرّ ذلك دون استفهام وجيه يقول: «إذا

كان عمل الجرجاني على ما وصفناه به وللسكاكي مزيّة التّقنين له والزّيادة عليه، فماذا حدث لهذا المشروع؟ وكيف قُرئ الجرجاني وكيف فُهمت نظريّته حينما نراها منقسمة بين ادّعاءات الأسلوبيّة والدلالية والشعرية؟»[12]

من هذه الإشكالية انطلق محمد العمريّ نحو قراءته للجرجاني في (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) قراءة تستعين بِالمناهج الحديثة-من تداولية وحجاجية ونصية-لبناءِ التلقي التاريخي الذي نشأ فيه عمل المؤلف، ولوصف التّحوّلات البلاغيّة الحادثة، وقسّم العمريّ دراسته لنسق الجرجانيّ إلى قسمين، أحدهما: بين الغرابة الشعرية (التخييل) ومناسبة الكلام للمقاصد (التداول)، والثاني: علاقاتُ التَّخييل بالتَّداول.

1.3بين الغرابة الشعرية والمناسبة التداوليّة: استعمل العمريّ قراءة نسقيّة في تناول (الأسرار) لكشف النّظام الذي يحكم مشروعه العلمي، ورسم خُطاطة للأسرار فيها ثلاثة مداخل، فحسبَهُ المدخل الأول[13] فيه مواجهة بين (المعنى الصحيح) و(المعنى التّخييلي) يريد الجرجاني منه حلّ معضلة السّرقات الشعرية بتوضيح المشترَك المعهود من فنون القول بين الشُّعراءِ، الذي لا يُصنف ضمن أنواع السرقات بينهم، وبين ما يختص به كل شاعر منهم ليصنع به التميز عن غيره، والمدخل الثاني[14] فيه الكشف عن التراتبية بين المعنى القريب والمعنى البعيد، مقيما مقارنة بين مختلف الصور البلاغية، ويبين مزّية الصور ذاتِ الخاصية التخييلية مثل الاستعارة على الصور الساذجة كالتشبيه المرسل، و«تَبرز في هذا المدخل المعالجة اللسانِية العقلية، لأنّ الجرجاني يقارب مسألة الخروجِ عن الأصلِ وصناعةَ الحدثِ الشِّعريّ بخصائصهِ ومميزاته التخييلية»[15] ويكشف العمريّ خلالَ المدخل الثالث[16] عن اهتمام الجرجانيّ بقضيّة المجاز وتقسيمه إلى: - مجازٍ مفرد (الكلمة يراد بها غير ما وُضعت له)-مجاز في الجملة (فائدةُ الجملة التي تحصلُ بالتأويل)- المجاز العقلي (الحكمي).

والجدير بالإشارة إليه في سياق الكلام عن البلاغة في جانبها التخييلي (الشعري الجمالي) عند الجرجاني هو أنها تضاهي النظريات الحديثة والعالمية، فنجد في ذلك قول محمد غنيمي هلال «إنما ذكرنا من نقد بينيدتو كروتشيه (Benedetto Croce)[17] ما يتصل اتصالا وثيقا بنقد عبد القاهر لتوضيح فضل أنموذج عربي فذ، وصل ببحثه وعمق نظرته إلى نتائج إنسانية شاملة لها قيمة باقية على مر الزمان، وتتصل في النقد الحديث بنظريات في الجمال »[18]

على ضوء ما سبق يكون بحث الجرجانيّ في الأسرار بحثا في مستويات الغرابة كعناصر في الخطاب الشعريّ، يتأسس عليها ويُقاس إليها، فكان كتاب (الأسرار) أوّل كتاب يضع حدود الخطابِ الشعري البليغ،[19] كذلك يهيمن على الأسرار نسقُ تخييلٍ يربطه العمري بالمحاكاة الأرسطيّة أو القراءة العربية لمحاكاة أرسطو.[20]

أماّ كتاب (دلائل الإعجاز) فإنّه ذو مناسبة تداوليّة ويسيطر عليه النحو والمعاني، ولا يُفهم إلا بمعرفة أنّ الجرجانيّ يرى وقوع الإعجاز بالتفاعل الحاصل بين اللفظ والمعنى سواء في الشعر أم في النّثر،[21] و(الدلائل) عملٌ مكمِّلٌ للأسرار، مشترِك معه في المنطلق باعتبار البلاغة في المعنى، ومختلِف معه في الهدف، فالأول

لمناسبة المقاصد والثاني للغرابة، فالعمريّ استخرج البِنية والهيكل الذي أشخصَ فيه الجرجاني عملَيهِ وِفق رؤية جديدة من خلال استكشاف الأنساق التي تحكم الكتابين.

2.3 علاقات التَّخييل بالتَّداول: كان الجرجاني ذا خلفية أشعرية تؤثر-بتحديدِها الخاص لكلام الله-على نظرته الإعجازية، فالأشاعرة يقولون إنّ كلام الله هو صفة قديمة أزليّة ليس بحرف ولا صوت،[22] وبما أنّ الصّوت الحسّي ليس من كلام الله فلن يكون الإعجاز فيه، وذاك ما جعل الجرجانيَّ يُقصي في عملَيه المادة الصَّوتِية من البلاغة الإعجازيّة، "لبناء نظرية المعنى وإبعاد المُقوِّم الصّوتي عن الساحة البلاغية"[23] وأسهم في ذاك أيضا اعتباره أنّ نصوصا بشرية تتوفر على قيمة فنية كبيرة باعتمادها على الجانب الصّوتي قياسا إلى النّص القرآني.[24] كما نلمسه في لامية العرب أو قصائد المعلقات أو مقامات الحريري أو حتى في أسجاع الكُهَّان. ثم يكشف العمريّ عن إنجاز آخر للجرجاني ضِمن نسقه العام، وهو حديثه عن الصّورة والمعنى أو ما سمّاه بـ(المعنى الأوّل) و(معنى المعنى)[25] والصّورة القائمة على هذا الأساس ترتبط بالنّظم النحوي ويكون مقياس جماليّتها ومناسبتها التّداوليّة للمقاصد معتبَرا من هذه الجهة، وربطُ بلاغة الاستعارة وغيرها من صور التّغيّر الدّلالي بالنّظم النّحوي يُعتبر إنجازا بلاغيّا متقدما وسابقا على عصره.[26]

وإذا كان عمل الجرجاني في الأسرار قائما على العقليّة التي تبحث عن تأويلات الغرابة، فإنّ الدّلائل بحث في مناسبة الكلام للمقاصد وانتظام الألفاظ خارجيًّا على هيئة انتظام المعاني داخليًّا في النفس، وهذا يجعله ينحو إلى نظريّة حجاجيّة إقناعية ترتكز على الشّرط والتّشبيهات المقارنة والتمثيل وغيرها، وهذا ما يأخذنا إلى الحديث عن الوظائف الشّعرية للصور البلاغية في الحجاج عند الجرجاني، وكيف تناول التّمثِيل وتأثيرَه في أغراض الشّعر ومقاصده كما في قوله: «فإن كان مدحا كان أبهى... وإن كان ذمًّا كان مسّه أوجع... وإن كان احتجاجا كان برهانه أنور»[27] دون أن يخشى المتكلّمُ العَرَجَ من قِلَّةِ الإقناع، ولا السّامعُ الحَرَجَ من ذِلَّةِ الانصياع، فبيّن الجرجاني أنّ لصورة التّمثِيل-باعتبارها أعلى الصور في تفعيل التّخييل-دورا حجاجيا يعمل على تقريب المسافة بين موقف المتكلم وموقف المتلقي[28] [29].

ثُم يحلّل النفس البشريّة ومُلتقِطات المعارف فيها من جهة تأثُّرها بالتمثيل، وأنّ الشعرية عموما تساعد على المعرفة والتعلم «لأنّ أُنس النفوس مَوقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريحٍ بعد مُكنًّى، وأن تَردّها في الشيء تُعلّمها إيّاه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعمّا يُعلم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع، لأن العِلم المستفاد من طرائق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطّبع وعلى حدّ الضرورة، يَفضُل المستفاد من جهة النّظر والفكر في القوّة والاستحكام وبلوغ الثّقة فيه غايةَ التّمام»[30] وهذه مُعالجة فلسفيَّة ونفسيّة تبحث في الدور المعرفي للاستعارة والتمثيل والغرابة ومفارقات اللغة.

وعند النظر في بلاغة الدلائل والأسرار فإن الجامع بينهما هو نظرية بلاغة المعنى ووسيلة تطبيقها للنظم، النظم الذي ضمّنه الجرجانيّ مفهوما يمدُّ الدارس بالوسائل العلمية للبحث والتقييم، لأن الجرجاني ميّز بين اللغة والكلام، وفرّق بين ما تشترك فيه المجموعة وما يختص به الفرد، بيّن ما يمكن أن يُضبط وتُستقصى

وسائله وما هو خلق مستمر وابتكار متواصل، وبيّن بلاغة العبارة التي توهم بأن وسائلها يمكن أن تحصى وبلاغة السياق التي تفتح المجال واسعا للاختراع والإبداع، فكان صاحب منهج بينما اكتفى غيره بتفكيك الكلام وإفراد بعض جوانبيه بالعناية.[31]

على ضوء ما سبق يمكننا القول بأنّ بلاغة الجرجاني عند العمري بلاغةٌ تجمعُ بين التَّخييلي والتداولي، وتحرص على مقاصد الإنسان المعرفية وأنها بلاغة تقوم على طريقة انتظام المعاني النحوية في النّفس بسبب الخلفية الأشعريّة للجرجاني، وبلاغةٌ تقوم على إقصاء بلاغة الكلام والأصوات الخارجية، لأنه كان يبحث في بلاغة الإعجاز التي لا يمكن أن تكون مقتصرة على المزية الصوتية الموجودة في النصوص الفنيّة البشرية.[32]

وإن كان العمري يهتم أكثر بكون الجرجاني رسم البلاغة بجناحيها الكبيرين المتقابلين، وجمع فيها بين تداولية إقناعية وتخيلية إمتاعية تحت راية (بلاغة المعاني)، فإن هناك من انتقد الجرجاني وقال إنّه أهمل البلاغة الصوتية، ومنهم سيد قطب الذي خالفَ الجرجاني في كثير من مضمون نظرية النظم بسبب إهمال قيمة اللفظ الصوتية والإيقاع الموسيقي الذي يعطي قيمة أكبر للمُنجز الفني في نظره، غير أنه تعجب من قدرته على تأسيس نظرية ذات طابع علمي من غير أن تُؤثر على تغلغل حاسته الفنية في أغلب الأبواب[33] وفي الموضوع نفسه يقرر محمد العشماوي أن الذي يُؤخذُ على عبد القاهر-في بحثه الممتد والمرتبط باللغة ومكوناتها الشعورية والمعنوية-أنه لم يُوسع المضمار للدراسة الصوتية في اللغة، ولدلالات الأصوات على المعاني بالقدر الكافي ولا بالمأخذ المفيد، ومعلوم يقينا أنّ شِقًّا هاما من المُنجَز الشعري إنما يصنعه النغم والصوت[34] وقرّر أيضا أنه لا يليق أن نقتصر في هذا المنهج اللغوي بمجرد الإشارة إلى هذا الشق، بل إن الحال يحتم على عبد القاهر أن يركز كثيرا على الوشائج التي تربط الأصوات باللغة ووظيفتها في أداء المعنى، وعلى الأخص أنه مهتم لفرط حماسته وغيرته على تأكيد الوحدة بين اللفظ والمعنى بإغفاله جانب اللفظ وإنكاره قيمته الصوتية في الشعر جملة، كما أننا لا نكتفي بمجرد الإشارة إلى أن الصوت جزء من المعنى، بل ينبغي أن نحدد طبيعة العلاقة الإيجابية بين الأصوات ومعانيها»[35]

ومن جهة الجمع بين التخيل والتداول يقرر عبد الملك بومنجل أنه ليس صحيحا ما ذهب إليه العمري من أن عبد القاهر انتقل من الغرابة الشعرية إلى المناسبة التداولية، ومن نصرة الغموض والتخييل إلى نصرة الوضوح والصدق تصالحا مع المذهب التقليدي[36] وافتراضُ تحول الجرجاني من مذهب في البلاغة إلى مذهب مخالف أو مختلف لأغراض تصالحية إنما هو افتراض متكلف، والأقرب إلى الطبيعة والمنطق أن يكون عبد القاهر شعر أنه لم يوف عناصر التصوير (مباحث البيان) حقها في الدلائل رغم إقراره بأهميتها فخصص لها كتابا مستقلا هو أسرار البلاغة، فلا تَحوُّلَ ولا مصالحةَ ولكن تفصيلٌ وتكميلٌ. ولكن الظاهر أن الباحث بومنجل لم يفهم كلام العمري، لأنّ العمري لا يقرر هذا التحول والمصالحة بل يرى أن الجرجاني كمّل الجناح الأول للبلاغة بالثاني، بل ربما كان العمري في تأسيسه للبلاغة العامة -التي تجعل البلاغة العربية مكونة من ضم كل الأنساق البلاغية إلى بعضها- متأثرا بتفكير الجرجاني وفعله مع بلاغة التداول وبلاغة الشعرية، ثم إن الباحث بومنجل في روايته لكلام العمري عند وصفه لانتقالِ الجرجاني بين بلاغتين، استعمل كلمتين توحيان

باضطرابه في موقفه من العمري حينما قال: إلى مذهب (مخالف أو مختلف) لأن "مخالف" أقرب إلى معنى التضاد وترك الأول إلى الثاني ولفظ "مختلف" أقرب إلى معنى التنويع وإمكانية جمع الأول مع الثاني، وتفصيل ذلك أنّ الجرجاني استفاد من قراءة ابن سينا لنظرية المحاكاة الأرسطية التي أَوَّلتْ **المحاكاةَ في الواقع بالتمثيل إلى المحاكاة في اللغة بالتخييل**، فنَقَلَ النظرية الأرسطية من خشبة **المسرح ذات الأصوات والحركات المعمولة إلى اللغة ذات التشبيهات والاستعارات المعقولة** وغير ذلك، ثمّ طبق الجرجاني ذلك في كتاب الأسرار وأسس به لبلاغة المعنى من جهة الشعرية. ثم استفاد الجرجاني من اللسانيين والإعجازيين وأهل الكلام، أمثال ابن جني والقاضي عبد الجبار في نظرية النظم وما تحتويه من توافق خواص التركيب مع الأغراض، وطبق ذلك في كتاب الدلائل وأسس به لبلاغة المعنى من الجهة التداولية.[37] ولم ينطلق في ذلك حتى وضع حوصلة لكتاب الأسرار في بداية كتاب الدلائل، ما يدل على أن الجرجاني يرى البلاغة أيضا في تداخل الشعري مع التداولي، وهي فكرته العظيمة التي كنا نظن أن جون كوهن (Jean Cohen) هو من سبق إليها حينما تكلم عن ربط الاستعارة-كانزياح دلالي-مع بنيتها كتركيب لغوي.

4. خاتمة:

كانت قراءة العمري لبلاغة المعاني ساعية إلى تحصيل نظرة كلية، واستخلاصِ النسقِ العام الذي أساسهُ السؤال البلاغي الجرجاني، وأيضا نجد العمري يشرح أثر النظم وطريقة بناء الصور البيانية بأثرها البلاغي من جهة الشعرية أو التداولية، ويوضح بدقة علاقات التخييل بالتداول على خلاف من سبقه، مثل شوقي ضيف الذي شرح بلاغة الجرجاني بطريقة تحليلية متعرِّضةٍ للجزئيات والتفاصيل، مثل شرحه للنظم ولمكانة اللفظ من البلاغة، ولا يزيد على شرح الموجود الظاهر؛

يرى العمري في تأليف كتاب "الأسرار" بناءً للجناح الأول من علم البلاغة وهو جناح (الشعرية) مقابل جناح (الخطابة) الذي بناه الجرجاني في "الدلائل"، وفق النظرة الوصفية التنظيرية، ولا يؤمن العمري بالتقسيم الثلاثي المعروف (بيان- معاني- بديع) المنطلق من التعليمية والقائم على المعيارية؛

حسب العمري فإن المبحث البلاغي عند الجرجاني أثمر بعض المباحث اللغوية، لأنه فرّق بين اللغة والكلام عند التفريق بين المعنى في النفس وملفوظه المادي؛

سبق الجرجاني بتفكيره البلاغي المتقدم إلى مباحث لسانية ونقدية حديثة، ومن ذلك تقارب فكرة الانزياح أو الانحراف مع مفهوم العدول، وتماثل فكرة محور التركيب مع فكرة الضم والمجاورة، وكلامه عن الصياغة مقابِلةً الأسلوب، وشرحه لمفهوم الكناية ومساواته لمفهوم الحضور والغياب وغير ذلك؛

أخذ الجرجاني من الفلاسفة الذين نقلوا إلينا نظرية المحاكاة بالتخييل فبنى كتاب الأسرار وأسس للشعرية، وأخذ من اللسانيين ومن علماء الكلام فبنى كتاب الدلائل وأسس للخطابية، وأعطانا البلاغة بجناحيها؛

بلاغة الجرجاني كانت للمعاني فقط ولم تهتم بالمقام ولا بالمقوّم الصوتي؛

المبحث الإعجازي عند الجرجاني أفضى به إلى الخروج بنظرية تجاوزت مبحثه إلى دائرة أوسع، صارت في الأخير أساسا للنقد، وهي نظرية رَدَّ بها العناصر البلاغية إلى طريقة تأليف الكَلِمِ على مُقتضى تَراتُبِ المعاني في

النفس لتسهيل فهم الكلام وتدقيق المعاني والتأثير بها إقناعا وإمتاعا حسب السياق، باختيار الصورة النحوية الأمثل على أساس ترابط عقليٍّ بين الكَلِم، حيث تكون هذه الصورة أكثر تلاؤما مع بعضها مما هي عليه في الخيارات الباقية.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب:**

1 - حسان بن إبراهيم الرديعان، عقيدة الأشاعرة، دار التوحيد للنشر، السعودية، دط، 2013م.

2 - سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط8، 2003.

3 - عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد 11، دط، دب، 1 يناير 1974م.

4 - عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايزة الداية، دار الفكر، سوريا، ط1، 2007م.

5 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، المملكة العربية السعودية، دط، دت.

6 - عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف – الجزائر، دط، دت.

7 - عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، دط، دت.

8 - مجموعة من العلماء، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، دط، الرياض – السعودية، 1999م.

9 - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، دط، بيروت – لبنان، 1999م.

10 محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، إفريقيا الشرق، دط، المغرب، 2017م.

11 محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، دط، الدار البيضاء – المغرب، 2001م.

12 محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، دط، 1979.

13 محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، دط، 1997م.

- **الأطروحات:**

بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد المعاصر وقضايا تحليل الخطاب) السنة الجامعية 2014 – 2015م، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف – الجزائر.

5. الهوامش والإحالات:

1- الجرجاني، عبد القاهر أبو بكر بن عبد القاهر (400 – 471هـ، 1010 - 1078م)، أحد مفاخر الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية، ويُعد كتابه "دلائل الإعجاز" قمة تلك المؤلفات؛ حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية النظم، التي سبق بها عصره، ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين، وتقف نداً قويًا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث، يلاحظ المشتغلون بعلم اللغة أن عبد القاهر قد سبق في دلائل الإعجاز الكثير من الباحثين الغربيين بعدّة قرون في عديد من الأفكار؛ فقد سبق الفيلسوف الإنكليزي جون لوك في الإشارة إلى عملية الاتصال اللغوي، وسبق العالمين دي سوسير وأنطوان مييه في كثير من أصول التحليل اللغوي، وسبق العالم الألماني فنت في أصول مدرسته الرمزية، وسبق العالم الأمريكي تشومسكي في الكثير من أصول مدرسته والتحويلية التوليدية. ينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، 1999م، ج 8، ص264.

2- محمد عبد الله العُمَري، أديب وبروفيسور ومترجم مغربي، ولد في المغرب عام 1945، حصل على شهادة الدراسات المعمّقة، ودبلوم الدراسات العليا ودكتوراه الدولة في الأدب العربي من جامعة محمد الخامس في الرباط، عمل أستاذاً للبلاغة وتحليل الخطاب والنقد الأدبي في كليتي الآداب بفاس والرباط، وعمل كذلك في جامعة الملك سعود بمدينة الرياض. حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب سنة 2007 بالاشتراك مع مصطفى ناصف.

ويعدّ العمري أحد أهمّ الباحثين المشتغلين بالدرس البلاغي العربي، والذين سعوا إلى إعادة بعثه من جديد ضمن مشروع قائم على أسس زاوجت بين التراث البلاغي العربي والغربي، وذلك من أجل الوصول إلى بلاغة عامة تستوعب كافة أنواع الخطاب من خطبة، وشعر، وقصة، ورواية، وله الكثير من الؤلفات منها:

- تحليل الخطاب الشعري (البنية الصوتية في الشعر)، 1990.
- البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، 1999.
- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، 2001.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، 2002.
- عوائق الحوار، 2003.
- البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، 2005.
- أسئلة في البلاغة في النظرية والمنهج، 2013.
- المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، 2017.

له أيضا ترجمات منها:

- بنية اللغة الشعرية، جان كوهين.
- البلاغة والأسلوبية، هنريش بليث.
- الاتجاهات االسيميولوجية المعاصرة، مارسيلو داكسال.

3- ينظر: عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف – الجزائر، دت، ص82.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص83.

5- ينظر: عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايزة الداية، دار الفكر، سوريا، ط1، 2007م، ص45.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص57.

7- ينظر: تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية ص83 – 85.

8- عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، دت، ص144، وينظر: للمؤلف نفسه: في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص182-219.

9- ينظر: تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية ص85 – 86.

10- دلائل الإعجاز، ص196 – 197.

11- أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر (626 – 555هـ، 1160 – 1228م) اشتهر في التاريخ البلاغي بكتابه المفتاح خاصة القسم الثالث الذي كان لعلمي المعاني والبيان، وما يتصل بهما من دراسة المحسِّنات اللفظية والمعنوية وألحق بها دراسة المنطق والعروض والقافية، وفتح بابا لتداخل علوم البلاغة والمنطق وأصول الفقه، وما يستدعيه هذا التداخل من ضرورة تصنيف وتحديد المصطلحات، ودقة اللغة الواصفة، ينظر: الموسوعة العربية العالمية ج 12، ص351.

12- ينظر: بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد المعاصر وقضايا تحليل الخطاب، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف – الجزائر، السنة الجامعية 2014 – 2015م، ص139.

13- ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، دط، لبنان، 1999م، ص332-335.

14- ينظر: نفسه، ص336 – 343.

15- ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، ص140.

16- ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص343 – 349.

17- فيلسوف وناقد ومؤرخ إيطالي (1866 – 1952م)

18- ينظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، مصر، دط، 1997م، ص276.

19- ينظر: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص41.

20- ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص351.

21- المقصود هنا هو فحوى نظريَّةِ النظم، وتوضيحا لها نقول: إنّ عبد القاهر الجُرجاني كان يبحث في الإعجاز البلاغيّ للقرآن والقاعدةِ التي يقوم عليها، وفي سياق ذلك خرجَ بنظرية "النَّظم" وهي نظرية "رَدَّ بها العناصر البلاغية إلى طريقة تأليف الكَلِمِ على مُقتضى تَراتُبِ المعاني في النفس" لتسهيل فهم الكلام وتدقيق معانيه وتجميله، والنَّظم في معناه العميق ليس متعلقا بالصِّحة النَّحوية وإنَّما باختيار الصورة النحوية التي تكون فيها المعاني أكثر تلاؤما مع بعضها لتأدية المطلوب وفق السياق مما هي عليه في الخيارات الباقية، ومثل هذه الاختيارات تسمى "وُجوها" وما نَتَجَ عنها من اختلافٍ بين الدّلالات يسمى "فروقا"، ويدخل في ذلك اختيارات الذكر والحذف والتقديم والتأخير والوصل والفصل والإظهار والإضمار والتعريف والتنكير وغيرها من مباحث علم المعاني. وباختصار فإنَّ النَّظم ترابط عقليٌّ بين الكَلِم يتوافق مع ترتيب المعاني النحوية الكفيلة بإيصال المراد حسب السيّاق.

22- حسان بن إبراهيم الرديعان، عقيدة الأشاعرة، دار التوحيد للنشر، الرياض – السعودية، 2013م، ص153.

23- محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001م، ص106.

24- ينظر: المرجع نفسه، ص107.

25- مثل قولنا (فلان بابه مفتوح دائما) كناية عن كثرة استقبال الناس، فالاستقبال هو (المعنى الثاني) ولا يؤخذ من "ظاهر" اللَّفظ، بل يُعقل من معناه وهو الغرض من القول.

26- ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ص362 – 364. وأيضا ص368.

27- ينظر: أسرار البلاغة ص115.

28- هذا موجود أيضا في البلاغة الجديدة عند المنطقي شاييم بيرلمان وتلميذه الفيلسوف ميشال مايير.

29- ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، ص144 – 145.

30- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، المملكة العربية السعودية، دت، ص121.

31- عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد 11، دط، دب، 1 يناير 1974م، ص83.

32- بل إن فكرة قيام البلاغة على المعنى والنظم يسمح لنا أيضا استنتاج فكرة نقدية تقول "بأنّ رسمَ الصورة الفنية في الشّعر على أساسِ انتظام الأجزاء المتخيَّلة لغرضِ التجميلِ والإمتاع، يطابق نظمَ الكَلِمِ في التّواصل على أساسِ انتظامِ المعاني المقرَّرة من أجل البيان والإقناع.

33- ينظر: سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط8، 2003، ص145.

34- ينظر: محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، دط، 1979، ص333.

35- المرجع نفسه، ص333.

36- ينظر: تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، ص103.

37- ينظر: محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، إفريقيا الشرق، دط، المغرب، 2017م، ص15.